التدوين التاريخي عند العرب

د. عبد الخالق حسين احمد
وزارة التربية

مقدمة

ان الزمن نهر عظيم، سائر في مجرى طويل وإذا ما وقفنا على شاطئ ذلك النهر، رأينا جزءاً من الماء قد مر من أمامنا، وآخر لايزال أمامنا وثالثاً لم يأت ولم يجر بعد ولكن نفس الماء الذي كان حاضراً أمامنا أصبح ماضياً وماء آخر لم يمر بعد وهكذا التاريخ.

إذا كان الزمن نهراً فالتاريخ بحراً ولما عزمت ان اكتب في التدوين التاريخي عند العرب وأن أساهم في دراسة التاريخ العربي الإسلامي بما أخذت من الكتب وما يجود به القلم وفق إمكانياتي الذاتية وفسحة الوقت فقد وجدت فيما بحثت مجدا عظيماً وتراثاً تليداً ورجالاً عظاماً وتاريخاً خالداً لخير أمة أخرجت للناس.

إن المصادر التي استخدمتها في البحث كانت قليلة لا بسبب عدم تيسرها أو عدم اطلاعي عليها وإنما بسبب أن موضوع التدوين التاريخي هو موضوع حديث في علم التاريخ وإذا ما قورن بغيره من مواضيع هذا العلم أما مراجع البحث فهي كثيرة ومتشابهة كثيرها بعددها قليلة في مضمونها وهي تكاد تكون متشابهة إلى حد كبير بما تحويه من معلومات.

لقد اقتضت طبيعة البحث أن اجعله في مقدمة وثلاثة فصول الفصل الأول التدوين التاريخي وعوامل ظهور التاريخ والفصل الثاني التدوين التاريخي عند العرب ويتكون من مبحثين، المبحث الأول التدوين التاريخي عند العرب قبل الميلاد، المبحث الثاني التدوين التاريخي عند العرب قبل الإسلام أما الفصل الثالث التدوين التاريخي عند العرب في العصر الإسلامي ويتكون من مبحثين:-

المبحث الأول: نشأة علم التاريخ عند الإسلام.

المبحث الثاني: مناهج المؤرخين العرب في التدوين التاريخي. ثم الخاتمة ومصادر البحث ثم الهوامش.

الفصل الأول
التدوين التاريخي وعوامل ظهور التاريخ

إن أهم ما يميز الإنسان عن سائر أفراد المملكة الحيوانية اللغة، وصنع الآلة، فبواسطة اللغة استطاع أن ينقل إلى الآخرين خبراته وتجاربه، فنمت وتطورت مهارته العقلية والمادية، وكانت اللغة وسيلة التعلم الذي ينقل بها الخبرات والتجارب جيلاً بعد جيل، ومن ذلك أحداث الماضي بالرواية وهذا التاريخ الشفهي الذي لازم وما زال يلازم الإنسان، وهو ما يمكن أن نسميه بالحس التاريخي أي الاهتمام بالماضي وتراثه. واخذ أشكالا مختلفة عند الشعوب كالروايات والقصص وأعمال البطولة. ودخل فيها عنصر الفن والخيال والأسطورة، وهكذا نشأت رواية التاريخ وبقيت الرواية الشفهية لأحداث الماضي تمارسها الشعوب حتى بعد اختراع الكتابة لأول مرة وصارت وسيلة التدوين في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل.

التاريخ في اللغة: تعريف الوقت طلقاً. يقال أرخت الكتابة تاريخاً وورخته توريخاً كما في الصحاح، وقيل(هو معرب من ((ماه روز)) الفارسية وحرفت عنها، وهو تعين وقت لينسب إليه زمان يأتي عليه، أو مطلقاً يعني سواء كان ماضياً أو مستقبلاً)[1]. و(التاريخ تحديداً الزمن من مادة ((أرخ يؤرخ)) التي تعني الشهير في اللغات القديمة السامية، وعرف الإله القمر في جنوبي الجزيرة العربية باسم ورخ)[2]. وقد يدل الشيء على غايته ووقته الذي ينتهي إليه زمنه[3].

والتاريخ في الاصطلاح وضعت له جملة تعاريف، ومفاهيم أقدمها ظل في الاستعمال إلى أواخر القرن الثامن عشر، وهو(إن التاريخ سجل الماضي أو سجل الأحداث الماضية)[4] والتاريخ بمعناه العام: تسجيل أهم حوادث الأمم، وبمعنى الحوليات تدوين الحوادث عاماً عاماً، وبمعنى الأخبار مرتبة حسب العصور[5]. وكان العرب يسمونه(الأيام) و(الأخبار) و(السير) ثم صاروا يسمونه التاريخ وصار عندهم سجل لأحداث الماضي[6].

ولم تبدأ (كلمة التاريخ) حياتها في الظهور كتعبير فني لدى المسلمين إلا بعد ظهور التاريخ الهجري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض). إن مفهوم التاريخ في ضوء نظريات التطور وعلم الاجتماع الحديث اتسع من بعد ذلك واكتسب مدلولات حضارية وتطورية بحيث أصبح في مفهومه الحديث دراسة أصول المجتمعات الماضية، أي دراسة تطور الإنسان وما أنجزه من منجزات حضارية، وما تركته هذه المنجزات من تأثيرات في تطور الحضارة المعاصرة.

إن التاريخ بمعناه الاصطلاحي فرع من فروع المعارف البشرية قوامه التحري والتحقيق وفق

منهج بحث خاص به هو منهج البحث التاريخي[7].

التدوين:

التدوين في اللغة: دوّن يدوّن تدويّنا، نعني كتب أو ثبت، وهي عكس مشافهة، ونقول دونت الدواوين تدويناً، والديوان مجمع الصحف وتجمع فيه القصائد، والديوان المكان الذي يجمع فيه لفصل الدعاوى، أو النظر في أمور الدولة[8] والتدوين هو التسجيل في القراطيس لما يراد حفظه من أمر هام جدير بالبقاء.

التدوين في الاصطلاح: هو كتابة كل ما يراه الانسان مهما من حوادث، وتسجيل تلك الحوادث، بلغة واضحة المعنى تفصح عن حقائقها، واهدافها، ويشمل التدوين العهود والاتفاقيات، والوقائع ليظل التاريخ من خلال تدوينه سجلاً للماضي، وأمتداداً للحاضر، ودليل عمل للمستقبل، فمن خلال التدوين يستطيع الانسان ان يعرف ما كانت عليه الشعوب في ماضيها وكيف سادت تلك الشعوب وكيف بادت حضارتها.

صفات المؤرخ:

يؤكد ابن خلدون في مقدمته على (أن المؤرخ الصحيح يحتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت بفضيان صاحبها الى التحقق وينكبان به عن المزلات والمغالط)[9].

ان على المؤرخ ان يتصف بثنائية الرؤيا والالتزام الاسلوب العلمي عند معالجة التاريخ القديم او ما قبل التاريخ وان يتجرد من احساسه العاطفي نحو الموضوع وان يلتزم بالاسس العلمية عندما يتعرض لدراسة الجماهير، او المجموعات البشرية، اما عند الكتابة في التاريخ الحديث، او تاريخ الافراد، فلا مناص للمؤرخ في التأثير بميوله الشخصية[10].

ان على المؤرخ ان يتحلى بصفات خاصة اساسها المسؤولية وغايتها الحقيقية ومن هذه الصفات[11].

1- حب المعرفة والصبر على تحصيلها والجد والمثابرة في البحث والعمل فالجد والمثابرة في كل بحث علمي وهي مطلوبة وبشكل خاص في البحث التاريخي.
2- الشك والنقد، فلا يجوز له ان يقبل كل كلام، أو يصدق كل زاوية، أو أية وثيقة، أو مصدر دون درس، وفحص، واستقراء، فكل نص في التاريخ مشكوك فيه الى ان تثبت صحته.
3- عدم التحيز والتجرد، وهي صفة مطلوبة في كل باحث ولكن مهمة بالنسبة للمؤرخ فعليه ان يحرر نفسه قدر المستطاع من الميول او الاعجاب او الكراهية لعصر من العصور أو

لناحية تاريخية معينة.

4- ان يكون ذا عقل واع مرتب منظم، فالمؤرخ شأنه شأن بقية رجال العلم الذين يحتاجون الى هذه الصفة للتركيز على الحقائق التي بين ايديهم والمؤرخ الذي يمتلك عقلية منظمة قادر على تنسيق الحقائق وترتيبها.

5- الشعور بالمسؤولية وصاحب احساس وذوق وعاطفة وتسامح وخيال.

6- ان يتحلى بالامانة العلمية، وان يكون رائده حب الحقيقية، وقولها بشجاعة دون خوف او تردد وان يكون ضميره رقيباً عليه.

الفصل الثاني
التدوين التاريخي عند العرب

1- تدوين التاريخ عند العرب قبل الميلاد.

بدأ تدوين شؤون المختلفة ومنها احداث الماضي منذ ان ظهرت وسيلة التدوين (الكتابة)، في اولى الحضارات البشرية، وهما حضارتا وادي الرافدين ووادي النيل. اذ اخترع سكان وادي الرافدين القدماء ما يسمى بالخط المسماري وفي حضارة وادي النيل الخط الهيروغليفي، وبدأ أول تدوين للتاريخ الانساني حيث ظهرت المدونات التاريخية للاحداث المعاصرة والماضية في عصر مبكر من تاريخ هاتين الحضارتين[12]. ولم نجد في تلك المدونات المفهوم العلمي الحديث المتميز بطرق النقد والتحقيق والتمحيص الى غير ذلك من قواعد منهج البحث التاريخي الحديث[13]. وعلى الرغم من عدم انطباق مفهوم تدوين التاريخ الحديث عليه فأنه يمكن القول ان أسساً مهمة يقوم عليها مفهوم التاريخ قد وضعت في حضارة وادي الرافدين، وفي مقدمتها ما يمكن أن نطلق عليه الحس التاريخي، الذي يظهر جلياً في أهتمام سكان العراق بأحداث الماضي وتدوينها[14] وبدأ المؤرخون السومريون من عام 2000 ق.م يكتبون ماضيهم، وبسجلون حاضرهم، ليخلفوه لمن يجيء بعدهم، ووصلت الينا أجزاء من هذه السجلات، ولكنها لم تصل الينا في صورتها الاصلية، بل جادتنا مقتبسة في تواريخ المؤرخين البابليين[15].

ونجد بدايات ربط الماضي بالحاضر لفهم هذا الحاضر، عبر الكتاب الاشوريين وحاول الكتبة القدماء تدوين وتفسير العالم بحسب آرائهم منذ بدء الخليقة واشتهر المدونات التاريخية في حضارة وادي الرافدين هي:

1- جداول الملوك والسلالات الحاكمة (كالقوائم السومرية والاكدية والبابلية والاشورية).

2- التاريخ التعاصري وهو موجز العلاقات السياسية بين ملوك بابل وآشور.

3- المدونات الآثارية وهذه بينت نظرة العراقي القديم المستقبلية للتاريخ.

4- الحوليات الملكية أي ذكر الحوادث عاما بعد عام عند تدوين اخبار الملوك.

5- الرسائل الملكية المقدمة للآلهة وفيها يذكر الملوك الاعمال التي قاموا بها.

6- المكتبات والارشيفات وتنظيمها وفهرستها مثل مكتبة آشور بانيبال[16].

وتبقى نصوص الحوليات الملكية، أي: ذكر الحوادث عاما بعد عام، عند تدوين أخبار الملوك، احد ابرز الشواهد على اضطلاع العراقيين بمعرفة التاريخ وتدوينه، وفي هذه المدونات يخبرنا الملك السومري(أنتيما) بالاضافة الى المعارك التي دارت بين دولة لكش وأوما أحداثاً سقبت عهده بما لايقل عن اربعة أجيال، ولقد تطور هذا الاسلوب التاريخي الى ان وصل مرحلة ناضجة ابان حكم السلالة الاشورية الحديثة، وخلف لنا الاشوريون نصوص مطولة تخص اعمالهم الحربية والعمرانية، وقد توصل الاشوريون الى مايعرف بالتاريخ التعاصري الذي هو عبارة عن استعراض لتاريخ الاحداث الهامة التي وقعت في بلاد آشور وما يعاصرها في بلاد بابل وخلف لنا الكتبة، نوعاً اخر من المدونات التاريخية المعروفة يكتب الاخبار امدتها هذه الكتب بمعلومات لاحداث هامة يعود قسما منها الى القرن الثامن عشر ق.م اما احداثها فتصل الى العهد السلوقي، وطريقة هذه الكتب الاخبارية في تدوين الحوادث، هي ذكرها عاما بعد عام.

ولا بد من الاشارة الى ان هذه الوثائق التي اشرنا اليها، قد احتفظت بمعان تاريخية غنية ونحن نعتقد ان مراجعة موضوعية للكتابة التاريخية العراقية ستجعل من (كتب الاخبار الاشورية والبابلية سابقة تاريخية على ما انجزه هيرودوتس وجعل منه ابا للتاريخ[17].

2- التدوين التاريخي عند العرب قبل الاسلام (ام-611م)

لم يكن العرب في فترة ما قبل الاسلام ثقافة مدونة، وعلوم مسجلة، فقد غلبت عليهم البداوة واستغرق حياتهم التنقل فتفشت فيهم الامية، ولم يتركوا في خلال هذه الحقبة سوى نقوش قليلة تبين عما كان لهم من دور حضاري. على ان العرب عرفوا انماطا من المعارف والعلوم البسيطة قبل ظهور الاسلام مما يتصل بالانساب والطب والانواء والفراسة واكثرها يقوم على الممارسة والخبرة واكثرهما يقوم على التحليل والاستقصاء والبحث المنظم.

ان السمات الحقيقية لحياة العرب قبل الاسلام تتجلى قبل كل شيء في اللغة والسير والقصص والامثال، وكان لبعض القبائل نصيب من التحضر المادي للمناطق التي كانت تجاور

بلاد الروم، والفرس وبخاصة دولة الغساسنة ودولة المناذرة، كما كان لبعض القبائل حظ اكبر من الالمام بالكتابة، والحسبة، ولم يعرف العرب في ذلك الزمان غير كتب الدين، بدليل اطلاق تعبير(أهل الكتاب) في القرآن الكريم عن اصحاب الديانات السماوية غير الاسلام[18].

وعرب ما قبل الاسلام لم يكونوا بعيدين عن التاريخ، وكل جماعة منهم كان لها على طريقتها، وبمقدار سويتها الحضارية تاريخها الخاص، بعضه مدون وبعضه شفهي. وهوتراث واسع من الكتابات، النقوش والاخبار الكثيرة جدا والمتفاوتة في الاهمية تفاوتها في الصحة والصدق، وما كانت كلها مدونة بلغة قريش.

فعرب اليمن في الجنوب كانت لهم في آثارهم، ومعابدهم، وقلاعهم، وسدودهم، ونقوشهم وخطهم الخاص، وكانوا يذكرون فيها مختلف الفعاليات من اعمال الدين، والجزية، وبناء الاسوار، والمعابد والحصون، والحملات العسكرية، ولقد دخل اليهم بعد سنة 115ق.م تقويم ثابت[19].

ويشير الهمداني في كتابه الاكيل الى: (ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب علمها)، والى (زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية)[20] وكان لدى عرب الحيرة(المناذرة) كتب تحوي اخبارهم، وانسابهم، اشار اليها الطبري، وابن هشام، وكانوا يعرفون تاريخ الفرس، كما كانت لهم نقوش حاول ابن الكلبي قراءة بعضها لاستخلاص امور تاريخية منها.

الفصل الثالث
المبحث الأول
نشأة علم التاريخ في بلاد الإسلام

كان لعرب اليمن وسكان شمال الجزيرة العربية معرفة بسيطة بالتاريخ، وكانوا يدونون بعض الحوادث المهمة في حياتهم، وانما نشأ علم التاريخ ونما وتطور بعد ظهور الاسلام، واصبح جزءا مهما من الثقافة العربية الاسلامية له قواعده واصوله، وفروعه. كان العرب قبل الاسلام يتناقلون اخبارا متفرقة حدث بعضها في بلادهم والبعض الاخر في البلدان الاخرى، وكانوا يتخذون هذه الاخبار والقصص مادة لسمرهم، وكانت كل قبيلة تتناقل اخبارها الماضية ومآثرها، وبطولات اجدادها فكان من الطبيعي ان ينصرف راوي كل قبيلة الى تمجيد انساب قبيلته والمغالاة في عرض بطولات اجدادها ومناقبها واهتم العرب بالانساب اهتماما كبيرا، فقد كان نظامهم الاجتماعي قائما على صحة النسب، ويلحق النسب الحسب وهو تعداد مناقب الاجداد ومآثرهم، وشيمهم، وقد كثر النسابون قبل الاسلام فلم تخل قبيلة من واحد منهم، وكان النسب يؤلف عماد الاخبار المتداولة

بينهم[21].

لقد كان العرب قبل الاسلام يؤرخون بايام حروبهم المشهورة مثل: حرب البسوس، وداحس، والغبراء، والاحلاف وغيرها وقد قدم لنا اين عبد ربه، تفاصيل عن ايام الحرب قبل الاسلام نقلا عن ابي عبيدة معمر بن المثنى وقد بلغ عددها حوالي ستة وثمانين يوماً[22].

ولما ظهر الاسلام وتأسست الدولة العربية الاسلامية وامتدت الفتوحات اصبحت الحاجة ملحة إلى اتخاذ حادثة مهمة يجعلونها اساساً لتوقيت رسائلهم وكتبهم وحوادثهم، فوقع اختيارهم على عام هجرة الرسول (ρ) من مكة إلى المدينة مبدأ للتاريخ، واعتبروا المحرم اول السنة، وتقابل السنة الاولى من الهجرة سنة 622 في التاريخ الميلادي وكانوا يؤرخون بالاشهر القمرية وبالليالي، لان الليل تسبق النهار.

كان ظهور الاسلام، وانتشاره السريع، اهم الحوافز التي دفعت العرب على الاهتمام بالتاريخ، فقد اهتموا يتبع حياة الرسول (ρ) وغزواته، وحديثه، واهتموا بالردة، وحركة التحرير، والفتوح وما جرى فيها من الوقائع.

وقد ظهر اسلوبان في تدوين التاريخ:

الاول: اسلوب المحدثين. واكثر ما يظهر في تاريخ السيرة النبوية الشريفة، وكانت المدينة مركز هذا النوع من التاريخ، ويتميز هذا الاسلوب بذكر الخبر على وجه الايجاز، وذكر الراوي الذي رواه.

الثاني: اسلوب الاخباريين، وكانت الكوفة مركزه، ويتميز باعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية، وفي ذكر التفاصيل ورواية الشعر والخطب [23].

وقد اتحد الاسلوبان في مطلع العصر العباسي واصبح المؤرخون يجمعون بينهما.

مراحل التدوين في الاسلام:

1- تدوين القرآن الكريم:

لقد كان القرآن الكريم فتحاً جديداً ورائعاً، لا في تاريخ العقيدة، فحسب وانما في تاريخ الانسانية كلها، وكان القرآن الكريم اول نص عربي كامل اتخذ شكل كتاب.

نزل القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة وكان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من الايات على سعف النخل والرفاع والعظام وغيرها.

ويعد ان انتقل الرسول (ρ) إلى جوار ربه، قامت حروب الردة، وقتل فيها اكثر القراء من

الصحابة، وبخاصة في يوم اليمامة، وقد هال هذا الامر الخليفة عمر بن الخطاب (τ) فذهب إلى الخليفة ابي بكر (τ) وقال له (ان القتل كثر واستحر بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل بالقراء في المواطن كلها واني ارى ان تجمع القرآن).

فامر ابو بكر (τ) زيد بن ثابت احد كبار الصحابة بجمع القرآن من الرقاع والعسب واللخاف ومن صدور الحافظين وقد كان الجمع من غير ترتيب للسور وحفظت هذه الصحف عند ابي بكر (τ) ثم عند عمر (τ) حتى مات، فحفظت عند ابنته حفصة [24].

اما عملية التدوين الثانية في عهد الخليفة عثمان بن عفان (τ) فقد اختلف الناس في قراءة القرآن، واخذ بعضهم يغلط بعضاً في القراءة وقد استقر رأي الخليفة على تدوين مصحف موحد، تلاقياً بما قد يجي اليه تعدد النصوص واختلاف القراءة من عواقب وخيمة فارسل عثمان (τ) إلى حفصة: (ان ارسلى بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها اليك).

فارسلت بها حفصة إلى عثمان (τ)، فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث، فنسخوها في المصاحف، وقال لهم اذا اختلفهم في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم، ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وارسل إلى كل افق بمصحف مما نسخوا، وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف ان يحرق وبهذا حفظ الصحابة نص القرآن من الضياع، وذلك توفيق الله لهذه الامة[25] ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[26].

2- تدوين الحديث:

توفي الرسول (ρ) وسنته محفوظة في صدور اصحابه، وهم العدول، وقد خشي من ان يدخل على سنة النبي (ρ) فيها ما ليس منها، فيضيع الاصل، أو ان يدخل فيها المكذوب، والباطل مما جاء به اعداء الاسلام بغرض افساد دين المسلمين.

وفي سبيل حماية السنة من الدخيل، والكذب، حذر الخليفتان الراشدان: ابو بكر وعمر (τ) من الاكثار من رواية الحديث، وقد اثمر ذلك فلم يبلغنا ان احداً كذب على رسول الله (ρ) في عهد الخلفاء الراشدين.

لم تدون السنة في عهد الرسول (ρ) ولا في عهد الصحابة (τ) وسبب ذلك يعود لامرين:

الاول: انهم كانوا في ابتدأ الحال، قد نهوا عن ذلك، كما ثبت في صحيح مسلم خشية ان يختلط بعض ذلك بالقرآن.

الثاني: لسعة حفظهم وسيلات اذهانهم ولان اكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة[27].

كما ان السنة لم تدون في عصر الخلفاء الراشدين، حيث تم فيه تدوين القرآن الكريم، وجمعه في مصحف واحد، وكذلك لم تدون السنة في عصر الامويين، وان جرت بعض المحاولات في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (τ)[28].

ودونت السنة وعرف صحيحها، وضعيفها، فكان ذلك تسهيل لعمل الفقهاء، وتوفير الجهد عليهم، وقد سلك العلماء في منهج تدوين السنة طرقاً عدة نذكرها فيما يأتي:

1- وضع كل باب على حدة، واول من جمع ذلك الربيع بين صبيح، وسعيد بن ابي عروبة.
2- مزج الحديث بالفقه مرتباً على الابواب، ومن دون الحديث على وفق هذه الطريقة الامام مالك في الموطأ والاوزاعي، وسفيان الثوري وغيرهم.
3- التصنيف على المسانيد، ويتم ذلك، بذكر الاحاديث مجردة عن غيرها من اقوال الصحابة، والتابعين، ومن صنف على هذا النحو مسرهد البصري واسد بن موسى.0
4- التصنيف على الابواب والمسانيد كما فعل ابو بكر بن ابي شيبة.
5- تدوين الصحيح المجرد من الحديث دون غيره، وهذه الطريقة تقوم على اساس افراد الصحيح عن الضعيف، واول من اتجه إلى هذا الاتجاه البخاري.

وان لكل طريقة مميزات خاص بها، تفيد في ضبط الاحاديث لتحفظ وتستنبط منها الاحكام، وان كانت طريقة التدوين على الابواب اجود الطرق[29].

3-تدوين الشعر:

لم يدون العرب شعرهم قبل الاسلام، ولم يفكروا في تدوين اشعارهم، وانما كانت تكتب على رحل أو على حجر أو جلد لانباء القبيلة أو بعض افرادها بحادث، ولم يظهر رواية ثقة يزعم ان شاعراً قبل الاسلام القى قصيدة مدونة، وانما كان الشعراء ينشدون شعرهم انشاداً وظل هذا شأن العرب في صدر الاسلام، فهم ينشدون الشعر، ولا يقيدونه الا قليلاً، وفي ظروف خاصة، حتى مصرت الامصار، وراجعت العرب الاشعار.

واخذت فكرة التدوين تسلك طريقها في تسجيل عزوات ارسول (ρ) واحاديثه وفي تقيد بعض الاخبار التاريخية.

وعلى الرغم من اهتمام القبائل بشعر ما قبل الاسلام، وشعرائها الذين يعدون مناط شرفها، وفخارها لما يسجلون من مناقبها، وامجادها فانها لم تعتمد إلى تدوين الشعر الا في حقبة متأخرة

من عصر بني امية [30].

والشعر العربي –في روايته وجمعه وتدوينه– كان محور كثير من العلوم، والمعارف لانه يلقي مزيداً من الضوء على حالة العرب الاجتماعية ونزعاتهم النفسية، واتجاهاتهم الفكرية، واتخذ العلماء في رواياتهم لشعر العرب طرائق جمع الحديث وحذوا في ذلك حذو علمائه من حرص على تسلسل الرواية وصحة الاسناد، وان لم يبلغوا في ذلك التدقيق، والتشدد ما بلغه الفقهاء والمحدثون في هذا الصدد، وقد سلك الرواة في تصنيف هذا الشعر العربي ثلاثة سبل هي:

1- تدوين اشعار القبائل، وذلك انطلاقاً من طبيعة النظام الاجتماعي السائد عند العرب والحرص على مراعاة الشخصية القبلية التي قد تتميز بلهجتها وتستقل بشعرائها، وتنفرد بايامها ووقائعها.
2- صناعة دواوين الشعر، فقد اولى الرواة من تقدمهم من الشعراء عناية كبيرة إلى جانب عنايتهم بجمع اشعار القبائل، فظهرت لاول مرة دواوين امرؤ القيس، وزهير، ولبيد، والاعشى، والنابغة وغيرهم.
3- تصنيف المجموعات الشعرية المختارة، وهو النمط الذي حظي باهتمام خاص من العلماء والنفاد وقد انطوت المجموعات الشعرية المختارة على جانب غزير من اشعار العرب، واكثرها عرف باسماء رواته، وجامعية، كالمفضليات والاصمعيات وحماسة ابي تمام، وحماسة البحتري.

وجملة القول ان الشعر بحق ديوان العرب وعنوان مفاخرهم، وهو المرآة الصادقة لحياتهم والصورة لنزاعاتهم وافكارهم ومطامحهم وهم الذي حفظ للعرب مجدهم الادبي وتجلت فيه قدرتهم على البيان وبراعتهم في التعبير [31].

المبحث الثاني
مناهج المؤرخين العرب في التدوين التاريخي

تعني كلمة المنهج لغة: الطريق أو المسلك المستقيم الواضح البيان. وتعني اصطلاحاً: الطريقة الي توصلنا إلى الحقيقة العلمية استناداً إلى قواعد يهتدي بها الفكر [32].

ويعني المنهج: الطريقة التي يتبعها الباحث في مجال اختصاصه من اجل الوصول إلى نتيجة معينة ولا توجد طريقة علمية واحدة يمكن الاعتماد عليها للكشف عن الحقيقة العلمية، لان طرق البحث تختلف باختلاف المواضيع التي يدرسها كل باحث واختلاف المواضيع يقودنا إلى

اختلاف الوسائل التي تستعمل في البحث عن الحقيقة.

وتختلف المناهج باختلاف المواضيع، فاذا كان البحث حول موضوع التاريخي فانه يتعين على الباحث ان يعتمد على المنهج التاريخي واذا كان البحث حول دراسة ظاهرة من تصرفات الافراد وردود فعلهم فان ذلك يتطلب استعمال منهج دراسة الحالة وان ما يهمنا هو المنهج التاريخي أو الوثائقي الذي يستعمل الوثائق والمعلومات التاريخية يقصد الاستفادة من تجارب الماضي واخذ الدروس والعبر من تلك التجارب واهم ما يميز به هذا المنهج كونه يرجع إلى الظاهرة القديمة والى اصلها فيدرسها ويسجل تطوراتها ويحللها ويفسرها على وفق منهج علمي في البحث يربط النتائج باسبابها[32].

وتعد طريقة البحث التاريخية اوسع طرق البحث واكثرها انتشاراً واستعمالاً فهي تستخدم في مكانة المواضع والمعارف البشرية. حيث ان لكل موضوع، ولكل علم من العلوم البشرية مسبباته واصوله وتطوره وتاريخه القديم والحديث[33] ومجال هذه الطريقة هو الوثائق والكتب، وفي هذا المجال فان القراءات الكثيرة مطلوبة وقد تطورت مناهج التاريخ من خلال امرين[34]:

الاول: تدوين المادة التاريخية وفيه تم التطور من خلال ما يأتي:

أ- سقوط الاسناد تدويناً: وهو ما يعرف بالطريقة الحديثة وقد مثلها محمد بن جرير الطبري.

ب- تزايد الاعتماد على الوثائق، حيث كان لكتاب والموظفين الرسميين الذين عملوا في التدوين دور بارز في الاعتماد على نصوص المعاهدات والرسائل، والخطب في التدوين التاريخي مما ادى إلى الاعتماد على تلك الوثائق فاصبح الكاتب مؤرخاً موثوقاً.

ج- التأثر بالعلوم الاخرى: ومن ابرزها علم الحديث الذي عني بتسجيل اسماء رواته، وما كتب من تراجم لرجاله وكذلك ما كتب حول المتصوفة، والاطباء، والشعراء والقضاة.

د- تطور اسلوب الكتابة: حيث ان بدايات التدوين التاريخي لم تكن تهتم بطريقة التعبير والاسلوب الادبي، وانما اعتمد على طريقة الاخبارين غير ان دخول (الكتاب) ميراث التاريخ ادخل على صياغة اللغوية شكلاً ادبياً واسلوباً خاصاً بكتابة التاريخ.

الثاني: تنظيم المادة: وابرز هذه التطورات كانت فيما يأتي:

أ- التاريخ العام حيث تولي المؤرخون تسجيل التاريخ العربي الاسلامي وفق منهج علمي اعتمد الابواب في تدوين مواضيعه وبشكل عام.

ب- كتابة التواريخ البلدانية والاقليمية.

ج- سيطرة المنهج الحولي في التسجيل وقد اتخذ اتجاهين:

اولهما: التشدد إلى حد الكتابة بالأشهر والايام.

وثانيهما: التحرر من قيد الزمن وترك الاخبار حرة مرسلة لا يربط بينها الزمن بل الموضوع.

د- تطور المنهج في كتب تراجم الرجال فبالأضافة إلى كتب الطبقات ظهرت كتب اخرى على مناهج عدة، فمنها اعتمد سني الوفيات ومنها اعتمد نظام المعاجم، وقسم منها اعتمد الانساب والالقاب.

يتضح مما سبق بان المنهج الذي يخص علم التاريخ هو المنهج التاريخي أو الوثائق أو الاسترادادي وهو الذي يقوم باستيراد الماضي، وقد سلك المؤرخ العربي وفي كتابته التاريخية منهجين هما[36]:

اولاً: المنهج الحولي:

وهو ما يعرف في بعض الاحيان بالمنهج العمودي، واول من كتب على وقف المنهج المؤرخ خليفه بن خياط (ت240هـ/854م).

حيث ان كتابه (تاريخ خليفة بن خياط) يعد اقدم كتاب في تاريخ الاسلام العام مرتب على الحوليات[37].

وبهذا يكون ابن خياط قد سبق الطبري (ت: 310هـ/922م) في الكتابة على وفق هذا المنهج.

ثانياً: المنهج الموضوعي:

وهو ما يعرف بالمنهج الأفقي، ويعتمد المؤرخون الذين كتبوا التاريخ على هذا المنهج عهود الخلفاء والحكام أو الدول في ترتيب تواريخهم ومن اشهر من اتبع المنهج الموضوعي ابن قتيبة الدينوري (ت: 270هـ/883م) في كتابه (المعارف) واليعقوبي (ت: 284هـ/897م) في كتابة تاريخ اليعقوبي والمسعودي (ت: 346هـ/957م) في كتابه مروج الذهب والمعادن الجوهر[38].

الخاتمة

كانت اللغة وسيلة التعلم الذي ينقل بها الخبرات والتجارب جيلاً بعد جيل ومن ذلك احداث الماضي بالرواية وهذا هو التاريخ الشفوي لازم وما زال الانسان وهو ما يمكن ان نسميه بالحس التاريخي أي الاهتمام بالماضي وتراثه وهكذا نشأت رواية التاريخ وبعد اختراع الكتابة لاول مرة وصارت وسيلة التدوين في حضارتي وادي الرافدين ووادي النيل كان العرب قبل الاسلام يتناقلون اخباراً متفرقة حدث بعضها في بلادهم والبعض الاخر في بلدان الاخرى وكانوا يتخذون هذه الاخبار والقصص مادة لسمرهم وكانت كل قبيلة تناقل اخبارهم الماضية ومآثرها وبطولات اجدادها.

ولما ظهر الاسلام وتأسست الدولة العربية الاسلامية وامتدت الفتوحات اصبحت الحاجة ملحة إلى اتخاذ حادثة مهمة يجعلوها اساساً لتوقيت رسائلهم وكتبهم وحوادثهم فوقع اختيارهم على عام هجرة الرسول (ρ) من مكة إلى المدينة مبدأ للتاريخ واعتبروا المحرم اول السنة وتقابل السنة الاول من الهجرة سنة 622 من التاريخ الميلادي وكانوا يؤرخون بالاشهر القمرية.

كان ظهور الاسلام وانتشاره السريع، اهم الحوافز التي دفعت العرب على الاهتمام بالتاريخ، فقد اهتموا بتتبع حياة الرسول (ρ) وغزواته وحديثه واهتموا بالردة وحركة التحرير والفتوحات وقد ظهر اسلوبان في تدوين التاريخ:

الاول: اسلوب المحدثين واكثر ما يظهر في تاريخ السيرة النبوية الشريفة وكانت المدينة مركز هذا النوع من التاريخ.

الثاني: اسلوب الاخباريين: وكانت الكوفة مركزه ويتميز باعطاء صورة كاملة عن الواقعة التاريخية وفي ذكر التفاصيل ورواية الشعر.

وقد اتحد الاسلوبان في مطلع العصر العباسي واصبح المؤرخون يجمعون بينهما.

وقد تطورت مناهج التدوين التاريخي من خلال:

أ- سقوط الاسناد تدويناً، وهو ما يعرف بالطريقة الحديثة.

ب- تزايد الاعتماد على الوثائق حيث كان للكتاب والموظفين الرسميين الذين علموا في التدوين دور بارز في الاعتماد على نصوص المعاهدات والرسائل فاصبح مؤرخاً موثوقاً.

ت- التأثر بالعلوم الاخرى ومن ابرزها علم الحديث.

ث- تطور اسلوب الكتابة:ان دخول الكتاب ميدان التاريخ ادخل على الصياغة اللغوية شكلاً ادبياً منفعاً واسلوباً خاصة بكتابة التريخ.

ان المنهج الذي يختص علم التاريخ هو المنهج التاريخي أو الوثائق أو الاسترادي وهو الذي يقوم باسترداد الماضي وقد سلك المؤرخ العربي في كتابته التاريخية منهجين هما:

اولاً: المنهج الحولي: وهو ما يعرف في بعض الاحيان بالمنهج العمودي.

ثانياً: المنهج الموضوعي: وهو ما يعرف بالمنهج الافقي، ويعتمد المؤرخون الذين كتبوا التاريخ على هذا المنهج عهود الخلفاء، والحكام أو الدول في ترتيب تواريخه.

الهوامش:-

1- السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ، دار السلفية، الكويت، 1399هـ، ص10.
2- طه باقر وعبد العزيز حميد، طرق البحث العلمي في التاريخ والاثار، ط1، بغداد، 1980، ص7.
3- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، ط5، مصر، لا.ت، ص12.
4- باقر وحميد، المرجع السابق، ص8.
5- جب، علم التاريخ، ترجمة ابراهيم خورشيد واخرون، ط5، بيروت، 1980، ص15.
6- الدوري، عبد العزيز، دراسة التاريخ العربي، مجلة العربي، العدد 240، ت2، 1960، ص52.
7- باقر وحميد، المرجع السابق، ص8-9.
8- المنجد في اللغة والاعلام، ط23، بيروت، 1986، ص231.
9- المقدمة، تونس، 1984، ج1، ص37.
10- محمود محمود، التاريخ علم او فن، مجلة العربي، العدد 209، 1976، ص126.
11- عبد الواحد ذنون طه، اصول البحث التاريخي، دار الحكمة، الموصل، 1990، ص18-23.
12- باقر وحميد، مرجع سابق، ص17.
13- وول ديورانت، قصة الحضارة، ج2، من المجلد 1، ترجمة محمد بدران، ط3، لا.م، 1965، ص36.
14- باقر وحميد، مرجع سابق، ص19.
15- وول ديورانت، مرجع سابق، ص38.
16- باقر وحميد، مرجع سابق، ص20.
17- فاروق ناصر الراوي، حضارة العراق، بغداد، 1985، ج2، ص278.
18- عمر الرقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والاداب والتراجم، ط3، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1972، ص7.
19- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ، ط1، بيروت، 1960، ص14.
20- ديكمانز، النظام الملكي في بلاد العرب الجنوبية، ص382-383.
21- ابراهيم سلمان الكروي، وعبد النواب شرف الدين، المرجع في الحضارة العربية الاسلامية، ط2، الكويت، 1987، ص270.
22- العقد الفريد، ط1، بيروت، 1986، ص83.
23- ابراهيم سلمان وعبد النواب، مرجع سابق، ص271.
24- عمر الدقاق، مرجع سابق، ص9.
25- عمر سليمان الاشقر، تاريخ الفقه الاسلامي، ط1، الكويت، 1982، ص66-70.
26- سورة الحجر، الاية 9.
27- عمر سليمان الاشقر، مرجع سابق، ص72.
28- عبد الكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، بغداد، 1969، ص140.
29- عمر سليمان الاشقر، مرجع سابق، ص96-97.
30- شوقي نصيف، تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي، ط8، القاهرة، 1977، ص158-163.
31- عمر الدقاق، مرجع سابق، ص29-38.
32- يعرب فهمي سعيد، طرق البحث، ط2، بغداد، 1973، ص21.
33- عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، الجزائر، 1985، ص19-34.
34- عامر ابراهيم قنديلجي، البحث العلمي دليل الطالب في الكتابة، بغداد، 1979، ص42.
35- اكر مصطفى، مرجع سابق، ص377-444.
36- عبد الرحمن العزاوي، التاريخ والمؤرخون، بغداد، 1993، ص129.
37- خليفة بن الخياط، تاريخ الخليفة بن الخياط، تحقيق اكرم ضياء العمري، ط1، النجف، 1967، ص11.
38- العزاوي، مرجع سابق، ص130.

المصادر والمراجع

اولاً: المصادر:

* الخطيب البغدادي، الحافظ ابو بكر احمد بن علي، (ت463هـ/1071م)

1- تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لا.ت.

* ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، (ت808/1405م).

2- مقدمة ابن خلدون، ج1، 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

* خليفة بن خياط، ابو عمر، خليفة بن خياط (ت240هـ/854م).

3- تاريخ خليفة بن خياط، ط1، تحقيق اكرم العمري، النجف، 1967.

* السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت902هـ/1496م).

4- الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، القاهرة، 1343هـ.

* السيوطي.

5- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: 911هـ/1505م)، الشمارخ في علم التاريخ، دار السلفية، الكويت، 1399هـ.

* الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت310هـ/922م).

6- تاريخ الملوك والرسل، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم عز الدين، بيروت، لا.ت.

* ابن عبد ربه، احمد بن محمد بن عبد ربه (ت328هـ/939م).

7- العقد الفريد، ط1، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1986.

* ابن قتيبة، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدنيوري (ت276هـ/899م).

8- عيون الاخبار، تحقيق، يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

* المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/956م).

9- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م.

* ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله (ت626هـ/1229م).

10- معجم الادباء، ط1، دار المستشرق، بيروت، لا.ت.

ثانياً: المراجع:

* ابراهيم سلام الكروي وعبد النواب شرف الدين.

10- المرجع في الحضارة الاسلامية، ط2، مكتبة ذات السلاسل، الكويت، 1978م.

* جب:

11- علم التاريخ، ترجمة ابراهيم خورشيد واخرون، ط5، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980.

* حسن عثمان حسن.

12- منهج المبحث التاريخي، ط5، مصر، لا.ت.

* خالص الاشعب.

13- اليعقوبي، دار الشؤون الثقافية، بيروت، بغداد، 1988م.

* الدوري، عبد العزيز.

14- نشأة علم التاريخ، ط1، بيروت، 1960م.
* ريكمانز.
15- النظام الملكي في بلاد العرب الجنوبية، مصر، لا.ت.
* السيوطي.
16- الشمارح في علم التاريخ، دار السلفية، الكويت، 1399هـ.
* شاكر مصطفى.
17- التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م.
* شوقي ضيف.
18- تاريخ الادب العربي في العصر الجاهلي، ط8، القاهرة، 1977م.
* طه باقر وعبد العزيز حميد.
19- طرق البحث الحديث في التاريخ والاثار، ط1، بغداد، 1980م.
* عامر ابراهيم فنديلجي.
20- البحث العلمي دليل الطالب في الكتابة، بغداد، 1979م.
* عبد الرحمن العزاوي.
21- التاريخ والمؤرخون، بغداد، 1993م.
* عبد الكريم زيدان.
22- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، بغداد، 1969م.
* عبد الواحد ذنون طه.
23- اصول البحث التاريخي، دار الحكومة، الموصل، 1990.
* عمر الرقاق.
24- مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والاداب والتراجم، ط3، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1972م.
* عمر سليمان الاشقر.
25- تاريخ الفقه الاسلامي، ط1، الكويت، 1982م.
* عمار يوحوش.
26- دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، الجزائر، 1985م.
* فاروق ناصر الراوي.
27- حضارة العراق، بغداد، 1985.
* وول ديورانت.
28- قصة الحضارة، ج2 من المجلد1، ترجمة محمد بدران، ط3، لا.م، 1965.
* يعرب فهمي سعيد.
29- طرق البحث، ط2، بغداد، 1973.

ثالثاً: المجلات:

* الدوري، عبد العزيز.
30- دراسة التاريخ العربي، مجلة العربي، العدد 240، ن2، 1960م.

* محمود محمود.

31- التاريخ علم أو فن، مجلة العربي، العدد 209، 1976.